مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 9 / العـدد: 02 (2021)، ص 1202- 1220

فلسفة مشروع المجتمع عند عبد شريط ابن خلدون في مواجهة ابن رشد والفارابي

The philosophy of the community project at Abdellah Cheriet Ibn Khaldun versus Ibn Rushd and Al-Farabi

د. واحك مراد

جامعة خميس مليانة (الجزائر)، m.ouahek@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/14 تاريخ القبول: 2021/09/18 تاريخ النشر: 2021/10/07

ملخص:

يستعيد عبد الله شريط التموقع الفلسفي الذي وقف عليه ابن خلدون إزاء ابن رشد والفارابي في نقده للخطاب الجزائري المعاصر وإذا كان ابن خلدون قد ابدع علما جديدا وهو علم الإجتماع وذلك لأنّه تحرر من سلطة ارسطو وأفلاطون واهتم بالتفكير بواقعية وعلمية في الواقع الاسلامي والعربي في مقابل خضوع الفارابي وابن رشد لفكر ومنطق تفكير افلاطون وارسطو وقد ضلّا حبيسا منطقهما

فكذلك إنّ أي مشروع مجتمعي جزائري إذا أراد أنْ يضع قدمه في النهضة فلا بدّ من التحرر من أسر النماذج الغربية الفكرية ومن أسر المنهجيات المستوردة والتفكير في الراهن الواقعي بأدوات محلية تماما كما فعل ابن خلدون

كلمات مفتاحية: مشروع مجتمع، الخلدونية، ابن رشد، الواقعية، النظرية، الطوباوية

Abstract:

Abdellah Cheriet repeats Ibn Khaldun's position in his criticism of Ibn Rushd and Al-Farabi in order to criticize contemporary Algerian discourse. Abdellah Cheriet notes that

Al-Farabi and Ibn Rushd were influenced by the thought of Plato and Aristotle. That is why they did not innovate.

Therefore, in Abdellah Cheriet belief, if any Algerian social project wants to set its foot in the Renaissance, it must be liberated from the captivity of Western intellectual models and from imported methodologies and thinking about the real present with local tools, as Ibn Khaldun did

Keywords: Society project; Khalduniyah; Ibn Rushd; realism; theory; utopia

---

المؤلف المرسل: واحك مراد.

1. مقدمة:

كثيرا ما تستعاد في مشاريع النهضة العربية، رموز فكرية تاريخية لكي تعبّر عن توجّه معين للنهضة التي يجب أنْ تكون، فهناك دعوات إلى الرشدية وهناك دعوات إلى الخلدونية وهناك من يدعو إلى اقتفاء أثر عقلانية الكندي وابن سينا والفارابي وتطويرها. وقد يُعارض هذا الخط بالدعوة إلى احياء كتب الغزالي وابن عربي والسهروردي. على هذا الأساس قد شكّل التراث الفلسفي للفلاسفة المسلمين للمفكرين العرب المعاصرين عنوانا لطبيعة المسار الذي يجب أنْ تسلكه النهضة العربية الحديثة في المستقبل. ولا تعني استعادتهم التماهي مع فلسفتهم بقدر ما هو استلهام خطوط فلسفتهم الكبرى لكي تكون مشروع مجتمع.

ولم تكن الساحة الفكرية الجزائرية بعد الاستقلال بعيدة عن هذا السِّجال، فقد عرفت صراعا فكريا حول تصور طبيعة مشروع المجتمع الجزائري المستقبلي، فقد دفع البعض إلى استلهام التجربة الاشتراكية والبعض الآخر دعى إلى استلهام التجربة الليبيرالية وهناك من دعي إلى تجاوز الثقافة الجزائرية التقليدية وإحلال ثقافة فكرية ومنهجية حداثية جديدة. ويعتبر عبد الله شريط أحد هؤلاء الذين شاركوا في المعركة الفكرية بعد الاستقلال محاولا تقديم تصور جديد ومختلف لمستقبل مشروع المجتمع الجزائري، لقد كان الاساس الفلسفي

للنهضة عند شريط التموضع ضمن الموقع الذي وقفه ابن خلدون إزاء الفارابي وابن رشد، سيصبح ابن خلدون بالنسبة إليه هو عنوان أو كإطار عام لمشروع مجتمعي الذي يجب أنْ تسير عليه جزائر ما بعد الاستقلال ذلك أنّه يمثل العقلانية والتاريخية والواقعية، فكيف يستلهم عبد الله شريط الخلدونية في تصوره لمشروع جزائر ما بعد الاستقلال، وكيف يوظف عبد الله شريط ابن خلدون في الرد على خصومه،و ما الذي يجعل ابن خلدون في نظر عبد الله شريط في مواجهة مع الفارابي وابن رشد؟

2. الطوباوية في الخطاب الجزائري المعاصر:

يرى عبد الله شريط أنّ الفلسفة البنّاءة والحقيقية هي تلك التحليلات الفكرية والنقدية التي تنصب على دراسة الواقع العملي و الفعلي وتحاول فهمه من خلال معطياته الذاتية، لا أنْ تقوم على استلهام أفكار ومناهج من هنا وهناك وتحاول اسقاطها على مجتمع غريب منتظرة نتائجا ايجابية،. فمن شروط الفلسفة الواقعية :تحليل الواقع من خلال أدواته بالاعتماد على الثقافة العالِمة الناتجة عن تاريخه ويتعلق الأمر باستخدام ألفاظ ومفردات ومفاهيم بسيطة، وليس من خلال استيراد مفاهيم اجنبية. فالممارسة الفكرية التي تكون بهذا المعنى ليست إلا تعالي ثقافوي يتعالى عن فهم الواقع ويتبجّح بالمفهوم الغربي كمعبود فكري مقدّس. فهؤلاء المثقفين " كل ما في رؤوسِهم من مفاهيم للبناء والتسيير هي المفاهيم الفرنسية والغربية المعقّدة التي خُلقت لِشعوب أُخرى غير شعوبهم وبلاد تختلف أوضاعها جميعا عن أوضاعِ بلدنا"(شريط، 1981، ص 139)

لهذا فالانطلاق في التغيير الحقيقي للمجتمع الجزائري لا يجب أنْ يكون من فوق من خلال فرض مناهج وقوالب فكريه تحاول أنْ تحصره فيه، كما أنّ طبيعة اللغة المثالية لن تغيّر من الواقع المزري للجزائريين في شيء، فالنهوض بالمجتمع الجزائري يمر عبر دراسة علمية تحليلية للسلوك وللفعل وللفكر الصادر

والنابع من داخل هذا المجتمع " ونحن اليوم ما نزال متخلفين عن القرن الثامن عشر في ميدان التفكير وتنظيم التفكير وما نزال مكتفين عن عجرفة وكسل بكلمة: يجب أنّ نفعل كذا ولا يجب أنْ نفعل كذا دون بحث في الاسباب التاريخية أو الاجتماعية أو الطبيعية التي جعلتنا نتصرف على هذا النحو أو ذاك في حياتنا الخاصة أو العامة" (شريط، 1981، ص132)

فمن مميزات الخطاب المثالي المتعالي أنّه يستعمل لغة متعالية في خطابه لتغيير المجتمع الجزائري باسترسال لغة أخلاقية ووعظية متغافلا عن التحليل العقلاني لهذا المجتمع ، فحسب عبد الله شريط، الأوامر الاخلاقية والماينبغيات (ينبغي أنْ) لا تكفي لتغيير الاشياء وتحقيق التنمية والنهضة، لذلك، فالخطاب الذي منطلقه يجب أنْ ، وعليك أنْ، ومن اللازم أنْ، هو خطاب يذكرنا بأفلاطون وبفلسفته المثالية المتعالية التي تحتقر الواقع والممارسة، حيث يقيم الفيلسوف في برج عاجي ويُصدِر توصياته من فوق ، وبدل هذه " اليجب" علينا أنْ ندرس المجتمع الجزائري من الداخل، من خلال قراءة التصرُّف أو السلوك علميا وتاريخيا للبحث في أسبابه الحقيقية، وعن جذوره وكيف أصبح بهذه الصورة أو تلك وهكذا إذا تمت معرفة الاسباب يمكن بذلك من معالجة ظواهر التخلف المنتشرة في سلوكيات وتفكير الانسان الجزائري .

1.2.جذور الطوباوية في الخطاب الجزائري:

ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو: من أين أتت هذه الطوباوية والفوقية التي تسم الخطاب الفلسفي الجزائري وكل الخطابات الأخرى. يعتقد عبد الله شريط أنّ الطوباوية التي تتجذّر في هذا الخطاب تعود أصولها إلى طبيعة التفكير السائد في الفلسفة الاسلامية في القرون الوسطى. ذلك أنّ فلاسفة الإسلام تفلسفوا وفكروا بعيدا عن مشكلات الواقع والمجتمع الذي كانوا يعيشون فيه. سواء تعلق الأمر من حيث منطلقاتهم المنهجية أو من حيث تموقعهم الفكري.

وهذا ما يبينه ابن خلدون ف:" قد حكم ابن خلدون على الفارابي في الشرق بأنّه أضلّ السبيل لأنّه درس المجتمع كما يجب أنّ يكون قبل أنْ يفهمه كما هو كائن. وحكم على ابن رشد بنفس الضلال لأنّه درس المجتمع العربي بقوالب ارسطو الفكرية. ولكن كلا المنهجين الضالين الزائفين ما يزالان مسيطرين على عنايتنا الثقافية بالمجتمع إلى اليوم بأشكال أخرى"(شريط، 1981، ص 164،165)

وهذا واضح من خلال اهتمامات الفارابي الذي اتجه إلى التفكير في حل التعارض القائم بين فلسفتي أرسطو وافلاطون و فكّر في ما يجب أنْ تكون عليه السياسة الفاضلة والمدينة السعيدة وخصال الحاكم المثالي، هذه المواضيع بعيدة عن واقع الدولة الاسلامية عصرئذ، بهذا تجاهل عقل الفارابي التفكير في الزمنية التاريخية الاسلامية وما يحدث فيها. من هنا كانت فلسفته مثالية ، أي كانت منصبة ومُؤسّسة على ما يجب أنْ يكون، وعلى ما ينبغي فعله، كالبحث عن صفات الحاكم المثالي وواقع الدولة السعيدة. هذه الطريقة في التفكير كانت سببا في نأيه عن معالجة مشكلات الدولة الاسلامية الواقعية. أمّا ابن رشد فقد بقي محكوما بمنهج وبمصطلحات أرسطو حيث تحوّل معلم اليونان عند فيلسوف قرطبة إلى ما يُشبه الصنم، وهذه النظرة التي حكمت فلسفتنا الاسلامية في نظر عبد الله شريط لا تزال حاضرة بهذا الشكل أو ذاك في الحياة الفكرية العربية المعاصرة **فالبعض من المفكرين يستوردون مناهج غربية ليطبقوها في دراسة الواقع والتراث العربي والاسلامي وهم بهذا يستعيدون أخطاء ابن رشد ، ومنهم من يفكر من منطلق مثالي حول قضايا الدولة والمجتمع وهم بهذا يستعيدون أخطاء الفارابي**

وفي ظنّ عبد الله شريط، الخروج من هذه المثالية ومن هذا الاغتراب المنهجي لا يكون إلاّ من خلال معرفة الواقع بكل تفاصيله والابتعاد عن تمجيد الذات وتبجيلها لأنّ ذلك يُبعد من فهم مشكلات الحاضر كما أنّ لوم الاستعمار

على التخلّف، سيُبرّئ الذات عن مسؤوليتها المباشرة عنه، فالنرجسية والاعجاب بالماضي يُعمي النظر إلى الحقائق القاسية الراهنة التي يعانيها الواقع الجزائري والعربي ورفع اصابع الاتّهام للإشارة إلى الاستعمار كونه سببا في التخلف لا يعكس الحقيقة ، بل إذا أردنا التقدم ووضع قدم نحو الحداثة يمر ذلك عبر معالجة الذات معالجة صريحة ونقدية لا عاطفة فيها ولا مهادنة، بهذا يمكن أنْ نكوّن نظرة موضوعية وعلمية عن انفسنا وعن واقعنا يقول عبد الله شريط" أمّا مفكرونا فلا يترددون في فتح مناقشة عريضة بأنّنا خير الأمم وحضارتنا أعظم الحضارات التي عرفتها الانسانية وأنّ كل ما نحن فيه من بلاء وتأخر هو من أثر الاستعمار اللعين....وهذا الجانب من الجواب الصحيح ولكنه نصف الحقيقة. إنّنا نتخذ من هذا الجواب ذريعة لكي لا نفعل شيئا ولا نفحص عيوبنا ونتحدث عنها بصراحة ، صراحة الرجل القوي المؤمن بنفسه . صراحة الأمة الواعية السليمة من المرض ونبحث عن الطريق الطبيعي للخروج من عمر الطفولة والشهوة وأمراض المراهقة وندخل في عهد النضج والرجولة والقانون المحترم" (شريط، 1981، ص 21)

وإذن معادلة النهضة حسب عبد الله شريط : تنطلق من القطع مع تلك المناهج الغربية والفرنسية المستوردة التي يُحاولُ فرضُها على أرض الواقع، ذلك لإنقطاع الصلة بينهما، وايضا القطع مع تلك الطريقة في معالجة المشكلات المطروحة، طريقة: ما ينبغي أنْ يكون ، أو ما ينبغي فعله ذلك لأنّ هذا، ليس إلا طرح أخلاقي فوقي لا يقدّم تحليلات ولا معطيات ولا معلومات عن الواقع وما هو إلا تمنيات أو وصايا ، بل لا بد من النظر التأملي في مشكلات الواقع. وهذا التأمل لا يجب أنّ يُستلب أو يُقطع ويُشوش بتبرئة الذات عن مسؤوليتها المباشرة عن الاوضاع المتخلفة بأنْ يُرمى كل شيء عن الاستعمار بكونه سبب كل مشكلاتنا، كما أنّ التغني بأمجاد الذات يبعد من تناول الحقيقة الواقعية المرة التي يجب أنْ

تنصب عليها فعاليات النقد والمصارحة والموضوعية. بهذا يمكن الإنتقال بالذات من مرحلة الطفولة والمراهقة والشهوة - فالمراهق لا يقبل أي نقد على شخصه بل ينزع نحو النرجسية وحب الذات والاعجاب بها - ، إلى مرحلة النضج الحقيقة لأنّ " البحث عن الحقيقة في كل شيء هو الذي قاد أوروبا والغرب والعالم المتحضر إلى بسط سيطرتها على الكون الأرضي والانتقال بعده إلى العالم العلوي. ومن بين بحثهم عن الحقيقة يبحثون عن حقيقتنا نحن، التي لا نريد أنْ نبحثها بأنفسنا فكانوا أعرف بها منا وأدرى بأنفسنا وأوضاعنا عنا من أنفسنا"(شريط، 1981، ص 169)

2.2.الإزدواجية السلبية للعقل الجزائري:

يرى عبد الله شريط من خلال تأملاته لكثير من قضايا المجتمع الجزائري، أنّ الانسان الجزائري محكوم في حياته بازدواجية حضارية متناقضة ، و الاغرب أنّ الازدواجية لا تشكل لدى هذا الفرد أي حرج أو أي قلق بالرغم من انتمائهما إلى عالمين حضاريين مختلفين ، وتتبدّى هذه الثنائية في الحياة الاجتماعية والسياسية بل وفي العقلية الخاصة بكل فرد منا وهو ما يعكس حجم التوتر الحضاري لدى الانسان الجزائري، وتتمثل هذه الازدواجية كما يقول في " اجتماع البداوة الفكرية والحضارة المادية والافراط فيهما معا : لا نرضي من مستوردات الحضارة الحديثة إلا بما كان من آخر المنجزات التقنية الآلية وفي نفس الوقت لا نتمسّك من تقاليدنا إلا بما كان مُوغلا في التأخر الفكري ولكننا بدون حرج أو شعور بالإثم نجمع النقيضين تحت سقف واحد وتشمله في الشخص الواحد نفس البدلة ونفس الجسم والفكر"(شريط، 1981، ص149)

فالشخص يمكن أنْ يمتلك آخر ما انتجته التقنية الغربية في صناعة السيارات و اقتناء ما تنوع من أجهزة إلكترونية و حواسيب وهواتف، وفي الآن عينه، نجد هذا الشخص يتعامل في حياته من منطلق بدوي قبلي من خلال ارتكاز

علاقاته العملية على القرابات الجهوية والعرقية واللغوية كأساس مُحدِّد في تعامله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. كما نجد الشخص الذي انفتح على التقنيات الغربية المتطورة لا يزال يفكر بطريقة سحرية وخرافية في تفسيره لمنطق سير الاشياء ، بل ويذهب إلى المشعوذين والسحرة ليستعين بهم في تسيير شؤون حياته.

ولاشك أنّ هذه الإزدواجيه سلبية، تفصم وتفصل بين الشيء الواحد تُؤثر بشكل كبير على النهضة والتنمية والحقيقة كما يؤكد شريط أننا " نحن العرب – ومعنا الأمم المتخلفة كلها – ما نزال ننظر نظرة ازدواجية لكل شيء : الدين في الكتب شيء، وفي واقع الناس شيء آخر واللغة التي نكتب بها في واد والتي نتخاطب بها في واد آخر والسياسة التي نُسطّرها في مواثيقنا ودساتيرنا غير السياسة التي نعيشها ونطبقها في واقعنا العملي"(شريط، 1981، ص 106)

إنّ انفصال القيمة والمقول عن الواقع العملي، ينتج عنه ثنائيتين متناقضتين تزيد من بؤس الواقع وتخلِّفه فهذا التشذُّر بين ما يقال وما هو ممارس يحوّل الخطاب التنموي والفلسفي عموما إلى خطابات فارغة تفقد صلتها بالواقع، فما فائدة القيم والاخلاق والدساتير والشعارات إذا لم تكن تُطبق على أرض الواقع، لأنّ الواقع يتغير بتفعيل الشعارات والقيم فعليا، أمّا إذا بقيت على مستوى التصور والمثال فليس لها أي فائدة تذكر، فالواقع يغيره ما يؤمن به الناس، وإذا هم لم يهبطوا بتلك القيم إلى واقعهم ويُجسِّدونها فإنهم بذلك سينتجون التخلف ويكررون نفس الاخطاء. وهذا ما نلاحظه على مستوى دول العالم الثالث فهي تملك أحسن الدساتير والمواثيق ولكن تطبيقها على أرض الواقع غائب، كما أنّ القانون لن يكون له نتائج ايجابية إلا إذا تم تطبيقه وهكذا فإنّ القيم الأخلاقية لن يكون لها عطاء وخصوبة إلا إذا تم تجسيدها في الواقع ويظهر

بذلك أثرها. وهذه الازدواجيه هي التي تشل المجتمع من التقدم والحركة، لأنّ النظرية منفصلة عن الواقع.

ينتقد عبد الله شريط تلك النزعة النظرية التي يتخبّط فيها العالم الثالث ، والجزائر على سبيل المثال لم تخرج بعد من تلك النزعة التنظيرية في مشاريعها النهضوية، فبدل من البحث عن الخطوات العملية والواقعية التي أدّت إلى فشل المشروع التنموي والنهضوي يتجه الانسان الجزائري والعربي إلى صياغة نظريات نهضوية أكثر مثالية، المشكل الحقيقي في نظر شريط متعلق بالتطبيق وبكيفياته وبآلياته ولا يتعلق بالنظرية. يقول عبد الله شريط" وهذا ما يسمى بالفقر في الفكر العملي عندما يطغى عليه الفكر النظري عندئذ يصبح مقياس الجودة في التعاليم ليس هو قابليتها للتطبيق او تقرير ما يمكن منها والاستغناء عما لا يقبل التطبيق...بل يصبح مقياس الجودة في التعاليم هو درجة ما تبلغه من الكمال النظري وحده"(شريط، 2009، ص 383) . فالسياسي الجزائري لا يبحث عن الأخطاء التطبيقية للنظرية وما هي المشكلات الواقعية التي تطرحها النظرية وما الآليات والوسائل التي من خلالها يمكن تطبيقها على أرض الواقع بل رواد التنمية عندنا يسارعون الى التفكير في نظريات جديدة تكون أكثر تجريدا ومثالية من سابقتها الامر الذي يوقعنا في نفس الدائرة وللأسف " عندما لا ننجح في تطبيق التعاليم التي سطرناها لا نحاسب أنفسنا بل نعمد إلى معالجة الفشل التطبيقي بتقرير واجبات نظرية أخرى أكثر كمالا من الأولى ونظن أننا بذلك سننجح أكثر ولكننا في التعاليم الجديدة أيضا نغفل عن الأهم وهو النظر في الوسائل التطبيقية، فيصادفنا فيها الفشل ما صادفناه في الأولى ، ثم نبقى ننتظر أنْ تأتي التعاليم الجديدة بثمرتها الشهية من تلقاء نفسها أيضا، ولعلنا نعجب أنْ لا تأتي مع ذلك هذه الثمرة، فنقرر اجتماعا جديدا ونقرر تعاليم جديدة ونظريات أكثر إغراقا في الكمال من الثانية لإعتقادنا دائما بأنّ النتيجة المرجوة إذا لم تحصل

فلأنّ النظرية كانت قاصرة فنبحث عما هو أكمل منها ونضخِّم التعاليم أكثر فأكثر ولكننا في هذه المرة أيضا لا نبحث عن أسباب الفشل في مظانِّه ولا نتفطن إلى أنها ليست في النظرية ولا في التعاليم بل هي في الجزء الذي أهملناه منذ البداية وهو البحث في وسائل الإنجاز البشرية والتنظيمية والمادية والنفسية بالخصوص".(شريط، 2009، ص383، 384) . وهذا يعني وجود تضخُّم في النظرية جرّاء تعديلها المتكرر فكلما فشلنا في مشروع ما، نتجه إلى توجيه أصابع الاتهام إلى بنية النظرية في حين أنّ الأزمة كامنة في كيفيات تطبيقها وطبيعة الواقع الذي تطبّق عليه، سواء عادت هذه الأزمة إلى طبيعة الانسان النفسية أو من حيث سوء تطبيق النظرية.

3.ضرورة المنهج الخلدوني في دراسة المجتمع الجزائري:

وإذا كانت الطوباوية والمثالية الفكرية لا يمكن أنْ تحل مشكلات المجتمع الجزائري وكذا الأمر نفسه مع المناهج الغربية التي تزيد من تعقيد تصورات مشكلات الواقع ، **فإنّ طموحاتنا إلى تغيير المجتمع عمليا من خلال الثورة الصناعية أو الزراعية أو الاقتصادية أو بِأي نظام كان، لن يُؤتي أُكله وثماره إلا إذا سُبق بدراسة المجتمع عِلميا فالتحرر من الأوهام المثالية والتزييفات المنهجية المتعالية والخطوات العملية غير المحسوبة ينطلق من فهم الواقع عِلميا.** ف" الخلاص من هذا الزيف المُضاعف في حياتنا وفكرنا هو بذل المجهود الفكري الذي تهرّبنا منه لحد الآن في المجال الاجتماعي، بذل مجهود في فهم واقعنا عِلميا قبل أنْ نعمد إلى تغييره عمليا"(شريط، 1981، ص 164) ولكن كيف يمكن دراسة المجتمع علميا وما هو المنهج المناسب في ذلك؟ نلاحظ أنّ شريط يرفض تلك المناهج المستوردة من الغرب في دراسة المجتمعات العربية والاسلامية ؟

لا شك أنّ المنهج الخلدوني هو المناسب في دراسة الواقع الجزائري وهو ما يفضله صاحب كتاب معركة المفاهيم أمّا ايجابيات المنهج الخلدوني في دراسة الواقع والثقافة الجزائرية والعربية فيذكرها عبد الله شريط في قوله: "الأوّل أنّ منهج ابن خلدون في الثقافة الاجتماعية هو المنهج العلمي الذي أرسى قواعده ومتّن أُصوله على مرِّ العصور جميع عباقرة الانسانية من ارسطو إلى جون ديوي أو ماركس...والأمر الثاني هو أنّ ابن خلدون نفسه، تحرّر من تحكّم العادات الفكرية التي سار عليها أسلافه في الثقافة الاجتماعية وتحرّر في الوقت نفسه من التقليد اليوناني التجريدي الذي ولع به الكثير منهم وهو من ثم يعتبر إنْ شئنا سندنا الأكبر فيما نزع إليه اليوم من التحرر من نفس العبوديتين الفكريتين اللتين نعانيهما في عصرنا الحالي: عبودية أسلافنا بمناهجهم الخطابية السطحية وعبودية من يهروننا في العصر الحالي بتقنياتهم الآلية وبقوالبهم الفكرية التي لا تنطبق تماما على وقائع حياتنا الاجتماعية"(شريط، 1981، ص 163) ويمكن أنْ نعدد خصائص المنهج الخلدوني حسب عبد الله شريط :

أوّلا : في كونه منهج يمتاز بالعلمية والعقلانية وأنّه لا يختلف عن المنهج الارسطي أو الديكارتي أو الماركسي في دراسة مشكلات الواقع .

ثانيا: في كون منهج ابن خلدون تحرّر من السطحية التي سار عليها تدوين التاريخ فالمؤرخون الذين اتوا قبله، اتبعوا منهج الروايات وتكديسها دون نظر وتحقيق أمّا ابن خلدون فاتّجه نحو التعليل العقلي والبحث عن القوانين التي تنظم سير المجتمع والدول.

ثالثا: في كون ابن خلدون لم يجعل ارسطو أو افلاطون كنموذجين يحتذي بهما في بحثه المعرفي بل قد تحرر من سلطتهما المعرفية واتجه نحو فهم الواقع والدولة من خلال المعطيات والأحداث الموجودة لديه أو التي عايشها. فالرّوح الخلدونية هذه، يجب استعادتها اليوم في وقتنا الحالي من أجل نقد تلك

التحليلات السطحية التي يتبعها بعض المفكرين العرب ونقد ايضا تلك الاعمال التي تطبق المنهجيات الغربية في دراسة التراث العربي والاسلامي.

فابن خلدون كان علميا وواقعيا في دراسة المجتمع الاسلامي ولم يحبس فكره عند هذا المفكر أو ذاك بل انطلق من الاحداث التي عايشها في عصره وقد لاحظ سقوط الدول وصعودها وعايش عن قرب حياة الملوك والأمراء وتنبّه للصراعات الخفية والظاهرة التي تحكم العلاقات بين الافراد فيما بينهم والأسباب التي تحكم عمر الدول، فمن تجاربه الشخصية والواقعية وبمعرفته لكل طبقات المجتمع، ترسبت لديه معرفة علمية ارتفعت لتتجسّد فيما بعد في كتابه المقدّمة الذي هو نتاج خبرته المُحايثة للحياة، أمّا الفارابي فكان بعيدا عن فهم الواقع بسبب إكتفائه بالتفكير في إطار المثالية الافلاطونية وأمّا ابن رشد فقد كان مُكبّلا بالمنهجية الارسطية. من هنا يحاول عبد الله شريط أنْ يجد تموضعا في الفكر الجزائري باستعادة التموضع والتموقع المعرفي الذي وقف عليه ابن خلدون ازاء الفارابي وابن رشد " لقد حكم ابن خلدون على الفارابي في الشرق بأنّه أضلّ السبيل لأنّه درس المجتمع كما يجب أنْ يكون قبل أنْ يفهمه كما هو كائن. وحكم على ابن رشد بنفس الضلال لأنّه درس المجتمع العربي بقوالب ارسطو الفكرية. "(عبد الله شريط، 1981، ص 164،165)

وعلى العكس من الكثير من المفكرين العرب الذين تبنوا موقفا راديكاليا من التراث الاسلامي من خلال رفضهم له، اتجه عبد الله شريط إلى الإعلاء من شأنه باعتباره المنبعث الذي تنطلق منه النهضة، بل إنّ هذا التراث يحمل كنوزا يكفي فقط تأملها وبعثها من جديد ليكون لها أثر ايجابي في الواقع، وعلى ذهنية الانسان العربي. يقول في نص في غاية الاهمية" وتراثنا مهما تجاوزته الأحداث والثقافات المعاصرة ما يزال يحتفظ بقوة على أنْ ينبعث إلى الحياة من جديد وفي تراثنا الثقافي سواء منه المكتوب في عصور حضارتنا، أو الحي الماثل في حياتنا الاجتماعية

من عادات وقوانين وعقائد وتقاليد وفنون وآداب. إنّ في كل ذلك لثروة زاخرة بالإمكانيات ولكنها ظلت مخزونة كثروتنا البترولية، بدون استغلال بحيث يستطيع أبناء الامة العربية اليوم إذا تفطنوا لكنوزهم الثقافية بأنواعها أنْ يستخرجوا منها مناهج خاصة بهم وقادرة على خدمة مجتمعهم والنهوض به نهضة ثقافية في الميادين الاجتماعية"(شريط، 1981، ص 162)

فلا يتعلق الامر باستيراد مناهج غربية من هنا وهناك ونقلها لتكون قوالب ذهنية لدراسة المجتمعات العربية والاسلامية فهذا النقل غير منطقي لأنّ هذه المناهج مقتطعة من بيئتها ومنقولة إلى ثقافة اخرى مغايرة ولهذا يحصل التشويش والتعقيد والبعد عن الحقيقة في نتائجها البحثية، فالتراث العربي والاسلامي يحمل مناهج تناسب المجتمعات العربية ولكنها غير مكتشفة تماما كالثروات الباطنية ك-البترول والحديد والذهب والفضة-. وكمثال على غنى التراث العربي بالكنوز المعرفية يُنوه شريط إلى: منهج ابن خلدون فهو لا يقلُّ عقلانية وعلمية عن المناهج الأخرى. **بهذا يحاول عبد الله شريط أنْ ينتقد تلك النزعة التبجيلية والتقديسية لما هو غربي ولما هو فرنسي خاصّة ، حيث يُوجِّه الانظار إلى هنا، إلى التراث العربي الاسلامي بدل تولية الوجوه نحو الشمال نحو الغرب. بل يمكن أنْ تكون قيم هذا التراث قيما عالمية تصنع الحضارة المعاصرة.** ف" الحل هو أنّ لنا قيما لها قيمتها الحقيقية ...وهذه القيم ما تزال من ناحيه تصلح أنْ تكون محركًا للشعب ..وهذه القيم من ناحية أخرى إذا عُدِّلت وأُدْخلت عليها الحياة وزالت عنها علائق اليُبوسة وبُعِثت فيها حيوية الشباب والفطرة السليمة والتنظيم تستطيع أنْ تكون مُعدِّلا للحضارة التي فقدت هذا العنصر- عنصر القيم الأخلاقية والروحية"(شريط، 1981، ص 163)

4.دور الاخلاق في النهضة:

الكثير من المفكرين العرب يتجاهلون دور الاخلاق في نهضة الأمم وتقدمها، بل وقد يكون هذا الذي تناسوه واهملوه ولم يولوه له اهتماما هو سر سبب تخلُّف المسلمين فبدل التفكير في إعطاء هذا الجانب أهمية كبرى في الحياة الفكرية الجزائرية والعربية والاسلامية المعاصرة اتجه البعض إلى نقد العقل العربي، وهناك من سار على طريق نقد العقل الاسلامي ومنهم من اتجه الى نقد وتفكيك النصوص المقدسة ، في حين يرى عبد الله شريط أن أزمة المجتمع العربي قائمة في أخلاقه بالدرجة الاولى فعندما يتساءل عن أزمة الدولة في الوطن العربي يقول: " وماذا نفعل لكي تكون لدينا ثقافة الدولة؟ نعتمد أولا على الزمن، تطور الزمن لا بد منه. لكن، لا بد من مجهود فكري وثقافي وتعلمي وسياسي بالخصوص وأخلاقي لكي تتكون لدينا ثقافة الدولة هذه ، المشكلة التي خرجنا منها هي المشكلة الحقيقية هي التي وضعها سقراط عندما قال: الأخلاق هي التي تقوم عليها الدولة وليس الدولة بمعنى الحاكمين فقط ولكن الحاكمين والمحكومين."(سيف الاسلام، 2018)

ولعلاج مشكلة الأخلاق وغيابها من الممارسات الاجتماعية يؤكد عبد الله شريط على ضرورة المعالجة العلمية والابتعاد عن الاساليب البالية التي عفى عنها الزمن وذلك باستعمال المناهج العلمية المستحدثة من تراثنا وهو يدعو الى ضرورة "إدخال الفكر العلمي، إلى حياتنا الأخلاقية وإلى أنْ نخرج بها من الأسلوب البدائي الذي ظلت تعيش فيه إلى اليوم، وهو أسلوب الوعظ الساذج وإسداء النصائح اللفظية، والفخر بالماضي، غير متفطنين إلى أنّ هذا الأسلوب لم يعد يؤثر في أجيالنا الحديثة التي تكوّن عندها فكر رياضي ولم تعد تتأثر حتى في المسائل المعنوية والأخلاقية، إلا بما نزع نزعة علمية، وتتماشى مع هذا الفكر العلمي الذي يطغى على العلم الحديث".(نقلا عن: صايم عبد الحكيم، 2011)

فلا تقوم الدولة على التغنّي بالدساتير المثالية ولا على الخطابات الديمقراط-وية- ولا على تكديس الثروة المادية بل تقوم الدولة على مؤسسات تمارس الأخلاق في تطبيقاتها العملية حيث يصبح للأخلاق مؤسسات تسهر على الحفاظ عليها . اشار عبد الله شريط إلى هذا المعنى في كتابه المعنون بالفكر الأخلاقي عند ابن خلدون عندما تساءل عن سر بقاء الدولة ف" هل تقوم الدولة وتعظم على القوة المادية أم على المبادئ والمثل؟ الواقعيون يرون أنّ الدولة لا تكون ولا تعظم إلا بالقوة المادية (ميكيافيلي القرن16 ونيتشه القرن19) والميثاليون (جان جاك روسو ومنتسكيو ق18) يرون أنّ القوة الحقيقية للدولة هي قوة المبادئ والشرائع والاخلاق . أمّا ابن خلدون فيعتبر القوة المادية ويُسمّيها العصبية والقوة المعنوية والأخلاق ويُسمّيها بالخلال لابد منهما معا للدولة وأنّ القوة المادية وحدها أو قوة العصبية إذا لم تسندها قوة من التشريع الديني و من الأخلاق الحميدة عند رجالها فإنها سرعان ما يتطرق إليها الوهن والضعف وتتلاشى. كذلك الإعتماد على الأخلاق والمبادئ وحدها دون قوة مادية من العصبية والعشير تسندها لا تستطيع بها الدولة أن تقف على رجليها ولا أنْ تقوى على البقاء"(شريط، 1984، ص45). فالتفكير الواقعي يقوم على التفكير في المشكلات التي نعانيها، ومن أهم هذه المشكلات في الحاضر، غياب أخلاق فردية تبني الدولة فلا يمكن للثروات المادية ولو كانت طائلة أنْ تحقق بناء دولة حقيقية ما لم يصحبها ممارسة أخلاقية متزامنة مع هذا البناء المادي. لا شك أنّ شريط لا يوافق على تلك المشاريع الفلسفية الضخمة التي تغيِّب دراسة الواقع وتتجه نحو انتهاج طرائق تفلسفية غربية كنقد العقل وتفكيك النصوص فمهمة الفلسفة الواقعية تقوم على أمرين في غاية الأهمية :

الأوّل: ضبط المفاهيم لأن الحياة لا تقوم إلا على قيمة المفاهيم في حياتنا العلمية والثقافية والسياسية.

والثاني: التفكير ضمن مشكلات الواقع المحلي: فلا يجب للعقل الفلسفي أن يتفلسف ضمن مفاهيم ليست من داخله.

5.صهر المفاهيم ووظيفتها التاريخية:

يقول عبد الله شريط في معرض حديثه عن أهمية الأفكار في النهضة:" إنّنا لا نستطيع أنْ نبني بيتا من الحجر إلا إذا سبقه بيت من أفكار ونحن لا نملك شيء عنه في تصوراتنا الذهنية. لهذا قيمة المفاهيم في حياتنا، العلمية والثقافية والسياسية عموما، والمفاهيم في المجتمعات الناشئة كثيرا ما تأخذ طابع المعركة" وللخروج من هذه المعركة التي تستنفذ طاقاتنا يجب علينا ألا نتعصّب لمفهوم معين بل تقتضي العلمية أنْ نُقلبه على مختلف زوايا النظر والنقد كما أنّ المفهوم هو ما يقع بين الثبات والتغير فلا يمكن أنْ يحافظ المفهوم على حمولته الدلالية والوظيفية لدى مجتمع يتغير من جيل لآخر وهذا لا يعني أنْ يكون الإنسان بدون مفاهيم ثابتة بل عليه أنْ يراعي فيها الواقع التاريخي الذي يحياه المجتمع وهذا ما يبين أنّ عبد الله شريط يدافع عن أهمية توضيح الأفكار العلمية والثقافية والاقتصادية قبل البدء في البناء والتنمية أي يتعلّق الامر بتمحيص طريقة تفكيرنا و الكيفية التي ننظر بها إلى الواقع من خلال تبيُّن حقيقة تلك المفاهيم التي نتداولها بغير فهم ويمكن أنْ نستخلص العلاقة القائمة بين التنمية والافكار عند الشريط في النقاط التالية:

- الاهتمام بنقل المعرفة الواضحة بالدرجة الأولى قبل نقل المصانع والابتعاد عن المفاهيم المثالية والغامضة التي تُمثل عسر في فهم الناس من العامة وتشكل ايضا جدلا وغموضا لدى الاوساط المثقفة، فالتنمية يجب أنّ تُقام على أفكار واضحة وعلى مسار بيّن مفهوم من طرف الكل أي ضبط المفاهيم بوضوح لحل المشكلات، يقول شريط " علينا إثارة مشاكلنا الثقافية بوضوح... لأن طرحها

بوضوح هو الذي يعيننا على أن نعثر على حل صحيح في النهاية"(نقلا عن: عبد الحكيم صايم، 2011).

- الاهتمام بعملية نقل الأفكار والمبادئ الأخلاقية إلى السلوك في العمل اليومي فما فائدة الشرائع الدينية والوضعية إذا لم يتم تحويلها إلى واقع عملي، وإذا لم يتم تجسيد النظريات على أارض الواقع سيتموضع المجتمع في دائرة عود أبدي معيدا إنتاج تخلفه في كل مرة.

- التنمية لا تقوم على نقل المصانع وللحداثة التقنية والمادية إلى مجتمع لا يعرفها بل لا بد أن يتزامن مع هذا النقل أو يسبق بإعادة الاعتبار للإنسان في كل أبعاده النفسية والاجتماعية والتاريخية حتى يستطيع هذا الانسان معرفة استعمالها العقلاني وانتاجها فيما بعد.

- استخدام اللغة العربية وتطويرها من أجل أنْ تكون لغة المجتمع، وتجاوز الفرنسية كون أنّ هذه الأخيرة لا تصل إلى الجماهير بالمجتمع لا يتقدّم إلا بأدواته و بوسائله الذاتية التي يمتلكها

- كما يدعو شريط إلى إعادة الاعتبار للتفكير النقدي لمواجهة التخلف ووثوقية الأحكام. والطرح الموضوعي والمنهجي للمشكلات. " والطرح الموضوعي لها يدفع إلى مواجهتها بأسلوب منهجي، والمنهجية أعمق ثورة عرفتها الإنسانية إلى اليوم، لأنها الوحيدة القادرة على تعليمنا شيئا جديدا" (نقلا عن: عبد الحكيم صايم، 2011)

6. خاتمة:

من أهم النتائج التي توصلنا إليها، أنّه لم يكن ابن خلدون بالنسبة إلى عبد شريط مجرد عالم اجتماع أو فيلسوفا للتاريخ بل يمثل نموذجا يجب أنْ يحتذي به العقل الجزائري المعاصر في رسم مسار مجتمع مستقبلي، لأنّه إذا كان ابن خلدون قد أبدع علما للإجتماع فبسبب تجاوزه لسلطة افلاطون وارسطو والتزامه بالروح العلمية وبالواقعية فإنّ هذه الروح الابداعية يمكن استعادتها اليوم إذا تجاوزنا تلك التبعية للغرب وللشرق سواء من حيث تجاربهم الفكرية أو السياسية أو الاقتصادية، أو من حيث مناهجهم الفلسفية.

فالإبداع الخلدوني تمثّل في تجاوز سلطة الآخر والنهضة الجزائرية المعاصرة عليها أنْ تكون خلدونية في روحها بأنْ تتمثل العلمية والواقعية وأنْ تتجاوز عبادة وتقديس الافكار والمناهج التي ينتجها الآخر لكي يكون لها مشروع مجتمعها الخاص وذلك من خلال اكتشاف التراث من جديد وتحليل الواقع بمعطيات العلم وفهمه بالتحليل الموضوعي. ابن خلدون بالنسبة لعبد الله شريط ممثل لمجتمع جزائري محافظ على هوية تمت بصلة بالنص المقدّس وباللغة الوطنية وبابن خلدون محرّرا من أسر الآخر الفرنسي في مقابل مشروع مجتمع علماني عنوانه ابن رشد والفارابي اللذان لم يتخلّصا من ارسطو وافلاطون.

5. قائمة المراجع:

[1]- شريط، عبد الله، معركة المفاهيم،(1981)، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

[2]- شريط، عبد الله، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون،(1984)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

[3]- شريط، عبد الله، الأعمال الكاملة،(2009)، منشورات سهيل، الجزائر.

[4]- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، (2018)، عبد الله شريط المفكر الرائد والفيلسوف المناضل، موقع: www.raialyoum.com (اطلع عليه يوم10 سبتمبر 2021)

[5]- صايم عبد الحكيم، (2011)، سؤال الأخلاق في فكر شريط، www.djazairess.com (تم الاطلاع عليه يوم06 سبتمبر 2021)